

الرحية

تورثها أم البنين لطارق

عشيت السرى بعد للنمام طروق

وكان الراعى النخري وهو أحد الشعراء المشهورين نازلاً بالرحا ، فنزل عليه رجل من بني عمر في إحدى الليالي وكانت إبل الراعى غائبة عنه ولم يكن لدى الراعى أى شيء يكرم به ضيفه الذى تفرض عليه عادات العرب في البادية من إكرام الضيف ، فعمد الراعى إلى ناقة كانت لضيفه فأوعز لخدمته فحمرها وأطعم الراعى النخري ضيفه منها ، فلما قدمت إبل الراعى عوضه عنها بناتين وفى ذلك يقول من مقصورة :

عجبت من السارين والريح قرة
إلى ضوء نار بين فردة^(١) (فالرحا)

إلى ضوء نار يشوى القد أهلهما

وقد يكرم الأضياف والقدر يشوى

إلى آخر هذه القصيدة الجيدة والتي يصف فيها كيف نحر ناقة ضيفه لقراء ، ثم عوضه عنها بناتين من نوقه . وجاء ذكر « الرحا » فى شعر جرير فى هجائه للفرزدق إذ قال :

على حفر السيدان لاقيت خزية

ويوم (الرحا) لم ينق عرضك غاسله

ويوم الرحا الذى ذكر فى هذا البيت هو يوم اتهم فيه الفرزدق بريية ، فصير جرير من هذه التهمة حقيقة واقعة اتخذ منها موضوعاً لهجاء خصمه الفرزدق . وإليك قصة هذا اليوم .

يوم الرحا

نزل الفرزدق فى بنى منقر (قبيلة) وهم بالرحا ، وفى أحد الأيام ذهب رجال الحى لملء حياضهم من سحابة سقطت ، وخلت البيوت من الرجال ولم يذهب الفرزدق مع من ذهب ، فبقى فى البيت فسمع صوت امرأة تستغيث فى أحد بيوت الحى خفف مسرعاً لنجدتها ، ودخل عليها البيت فإذا بفتاة نائمة وقد تطوى حول صدرها ثعبان ، وكانت هذه

رحية بلفظ الرحا التى يطحن بها مصغراً . هى أكمة تقع غربى « الجهراء » وتبعد عن مدينة الكويت حوالى ٢٠ ميلاً ، وهى مشهورة بمجودة مراعيها فى الأيام التى تكثر فيها الأمطار ، وليس حولها ماء ، اللهم إلا بعض « الثايل » وهى الآبار القصيرة الموسمية التى لا يوجد فيها ماء إلا حين تكثر الأمطار فى فصل الشتاء .

وهناك فى الجنوب (أى جنوب الكويت) موضع آخر بهذا الاسم ، وللتعريف بينهما يقال للرحية الجنوبية (رحية الوفرة) وللقصودة بهذا البحث (رحية الجهراء) وتدعى « الرحية » أى « رحية الجهراء » قديماً « الرحا » وقد ذكرها ياقوت الحموى فى معجمه قال : « الرحا جبل بين « كاظمة » و « السيدان »^(١) عن يمين الطريق من النجاة إلى البصرة » .

وجاء ذكر الرحا فى شعر حميد بن ثور الهلالى إذ قال :
وكننت رفعت الصوت بالأمس رفعة

بجنب (الرحا) لما اتلأب كؤودها

وحميد بن ثور هذا شاعر مخلص أدرك النبى والخلفاء الراشدين ، وهو صاحب الميعة الشهيرة التى مطلعها :
ألا همما مما لقيت وهما وويحاً لما لم ألق منهن ويحاً ومنها :

أرى بصرى قد رابى بعد حدة

وحسبك داء أن تصح وتسلم

ولن يلبث العصران يوماً وليلة

إذا طلبا أن يدركا ماتيهما

وفى شعر معاوية بن عادية الفزارى وهو أحد لصوص العرب ، وكان قد حبس بالمدينة لسرقته إبلاً ، ذكر للرحا إذ قال وهو فى السجن يتلهف إلى رؤيا أهله وذويه :

أيا والي أهل المدينة رفعاً

لنا غرفاً فوق البيوت تروق

لكما نرى ناراً يشب وقودها

بحزم (الرحا) أيدى هناك صديق

(١) فردة تأنيث فرد وهو جبل منفرد عن الجبال ويدعى اليوم « الفريدة » وهو قريب جداً من « رحية » .

(١) السيدان موضع قرب « الرحية » يدعى اليوم « السادة » وسبكون لها ثبت خاص .

الفتاة بنت المستغثة ، فقال الفرزدق للمرأة لا بأس على
ابنتك وأخذ قبضة من تراب قذف بها الثعبان ، فانساب
ومضى . فأخذ الفرزدق بيد الفتاة فأقعدتها فقالت له أمها
أخرج يا عبد الله من البيت فصادف كلامه هذا مجيء الناس
إلى الحى فسمعوا قولها فقالوا للفرزدق ؛ ويلك ما تصنع
هنا ؛ فأخبرهم بالقصة فلم يصدقوا قوله ، وكان أهل الفتاة
من أشرار العرب وطى الأخص عمها واسمه « اللعين المنقرى »
خافهم الفرزدق طى نفسه فارتحل عنهم وقال فى ذلك :
فى كل يوم من ذؤاله ضغناً يزيد على أباله
فاشتهر أمر هذا الشعر وقصته بين العرب وكان « اللعين
المنقرى » عم الفتاة ظمياء شاعراً هجاءاً للضيوف ، فنزل عليه
ابن مكعب التميمى فقدم له اللعين الزاد فأقبل عليه بنهم فقال
اللعين يهجو :
وأحوس تيمى على الزاد لم يدع
من الزاد الا واهياً أو مجدداً
فأجابه ابن مكعب :
وأحوس تيمى على منقرية
يريد بها بين القراميص مضجعا

فلا تركوا ظمياء بين بيوتكم
ولا حرمل السيدان إلا منزعا
فأراد بنو منقر أن يوجدوا موضعاً للقول فى الفرزدق
انتقاماً منه ، فطلبوا من عمران بن مرة وكان من أشهر
عدائى العرب أن يأتى منزل الفرزدق فيبتك له سترأ ، فأتى
عمران منزل الفرزدق بعد المغرب فاخبتاً فى مكان قريب من
البيت فصادف « جعثن » أخت الفرزدق خارجة لحاجة
فهجم عليها ممسكاً بها فصاحت : « يا آل غالب » فدفعها
وفر هارباً فلم يستطع أحد أن يلحق به ، فقال اللعين يهجو
الفرزدق ويعيره بهذا الحادث فى قصيدة منها :

لعمرك إن الجعثن ابنة غالب

لكا الراح مشغوف بها من يذوقها

فترك الناس الكلام فى ظمياء ، واشتهر أمر جعثن وراح
جرير ينسج القصائد الطوال ليذكر فيها هذه القضية .

أحمد البشر

السكوت



يعيش فى مدينة « بومى » الآن أكثر من عشرين عائلة عربية مستقرة بصورة نهائية
فيها . . . ولكن الشيء الذى يزعج هذه العوائل الكريمة هنا ؛ هو مسألة تعليم أطفالها
اللغة العربية ، والدين الإسلامى ؛ فلا يوجد هنا من يدرسهم اللغة العربية ؛ ويلتحق
الأولاد والبنات منهم فى مدارس لغتها الأولى هى الإنجليزية ، ويعيشون ويختلطون
منذ ولادتهم مع أطفال الهنود ، لذلك فإن غالباً ما تكون لغة التفاهم بينهم هى « الهندستانية » أو الإنجليزية ،
وإن تكلموا العربية فلا فرق عندهم بين المذكر والمؤنث ، والجمع والمفرد . . . وبعضهم قد قطع مراحل لا بأس بها
من دراستهم ، ولكن مع الأسف الشديد أنهم لا يفقهون من العربية شيئاً . . . وإن كان أرباب هذه العوائل قد استقروا
نهائياً هنا ، فلا يعنى أن أبناءهم ، وأحفادهم سيكونون مثلهم فى المستقبل ، فلذلك سيحتاجون إلى العربية عندما يرجعون
إلى أوطانهم الأولى يوماً ما . . . وإذا لم يحدث مثل هذا فلماذا نفقد هذا العدد الكبير من شبابنا الذى يزيد على الحسين
نفرأ من الجنسين ، ونهمل تعليمهم لغتنا العربية ، حيث لا يستطيعون أن يندمجوا فى محيطنا ويسيروا مع تيارنا ، فإلى
معارف الكويت ، أتوجه ، طالباً منها إغارة هذا الموضوع بعض اهتمامها ، وإرسال مدرس ومدرسة لهذه الربوع ،
لتذكر المغتربين بأوطانهم ، وبأنه ما زال هناك من يفكر بهم وبفلذات أكبادهم ومصالحهم . . .